نماذج من الروايات الواهية في التاريخ الإسلامي
عند المستشرق كارل بروكلمان
(دراسة نقدية تحليلية)

عبد الحميد جمال الفراني [١]

ملخص

يرتكز كثير من دارسي التاريخ الإسلامي على الكثير من الروايات الضعيفة التي ساقها المستشرقون حول التاريخ الإسلامي، ويعتبروا هذه الروايات هي المصدر الرئيس للتاريخ الإسلامي، ويغفلون عن المصادر الأصيلة والصحيحة لهذا التاريخ.

ويعد ما كتبه المستشرق كارل بروكلمان حول التاريخ الإسلامي خاصة في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، يعد من بين تلك المصادر التي يرجع إليها المؤرخون، مع الغفلة حول ما تحتويه كتب بروكلمان من تشويه وافتراء لتاريخنا الإسلامي.

وسيستعرض هذا البحث بالدراسة بعض تلك الروايات التي اعتمد عليها بروكلمان بهدف تشويه التاريخ الإسلامي، من خلال كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية)، كما سيتم الرد على تلك الروايات الواهية والضعيفة ونقدها وبيان الروايات الصحيحة حول الحدث التاريخي.

مقدمة: إن الصراع بين المسلمين وغيرهم دائم ومستمر، وقد جرب عدونا سلاح القوة مراراً، فما أجدى له نفعاً، مما جعل قادتهم يفكرون في وسيلة أخرى وميدان آخر للصراع، ولقد أدركوا أن السر في صلابة المسلمين وتفوقهم هو في إسلامهم؛ ولذا حولوا ميدان الصراع من حرب المسلمين ذاتهم إلى حرب العقيدة الإسلامية، وبهذا تغيرت ملامح المعركة، فلم يعد ميدانها الرئيسي الأرض ولكنه الأدمغة والعقول، ولم تعد وسيلتها السيف بل الفكر، ولم تعد جيوشها الأساطيل والفرق العسكرية ولكنها المؤسسات والمناهج بالدرجة الأولى[٢].

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو البحث عن الروايات الواهية التي أورها بركلمان في كتاباته، وخاصة كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية، وكيف تأثرت دراسة تاريخنا بمناهج وخطط وأفكار أعدائنا؟.

وقد قسمت الدراسة إلي مبحثين اشتملا على عدة مطالب كانت كالتالي:

المبحث الأول: بروكلمان حياته ومؤلفاته.

المطلب الأول: حياة كارل بروكلمان.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: خطر الروايات الواهية على التاريخ الإسلامي.

المبحث الثاني: الروايات الواهية عند بروكلمان.

---

(١) ماجستير التاريخ الإسلامي – كلية الدراسات الإسلامية – فرع الشمال – وزارة الأوقاف– غزة.

(٢) السلمي، محمد بن صامل، وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد٢٠، ص٦٤.

المطلب الأول: روايته الواهية حول الأنصار ψ .

المطلب الثاني: روايته الواهية حول خالد بن الوليد τ :

المطلب الثالث: هزيمة الروم في موقعة اليرموك ١٥هـ/٦٣٦م:

المطلب الرابع: بناء قبة الصخرة.

المبحث الأول

بروكلمان حياته ومؤلفاته

المطلب الأول: حياة كارل بروكلمان Karl Brockelmann (١٨٦٨-١٩٥٦م)(٣):

مستشرق ألماني، عالم بتاريخ الأدب العربي، ولد في ووسنوك بألمانيا، ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، وأخذ العربية واللغات السامية عن: نولدكة وآخرين، ودرس في عدة جامعات ألمانية، وكانت ذاكرته قوية يكاد يحفظ كل ما يقرأ، درس العربية في معهد اللغات الشرقية في برلين عام ١٩٠٠م، وتنقل في التدريس، وتقاعد سنة ١٩٣٥م وعمل في الجامعة متعاقدًا سنة ١٩٣٧، ثم كان سنة ١٩٤٥م أمينا لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين، وأمضى أعوامه الأخيرة في مدينة هالة Halle وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي وكثير من المجامع والجمعيات العلمية في ألمانيا وغيرها.

وفي أعوام حياته الأولى كان يسافر كثيرا في الإجازات وكان يحب البحار ويستمتع بالتجوال.

واشتهر كارل بروكلمان في مجالات عديدة وبصفة خاصة في فقه العربية وقراءتها قراءة سليمة فصيحة وكتابتها كتابة، وأيضا في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي حتى عد إماما من أئمتها.

ولقد كرمت أوربا وأهلها كارل بروكلمان تكريما يليق به تقديرا لجهوده العظيمة ولإنجازاته الكبيرة في مجال العلم والمعرفة، ورحبت به الجمعيات والمنظمات الأوروبية وفتحت له أبوابها ومنحته عضويتها تكريما له، ومن ثم تم انتخابه كعضو مراسل أو عامل في كثير من المجامع العلمية والأكاديميات في العالم، فكان عضوا عاملاً في الأكاديمية السويسرية للعلوم، وعضوا في الجمعية العلمية السويدية، وعضوا في الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية، والجمعية الآسيوية الملكية في لندن، والجمعية العلمية السويدية، وعضوا في الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية في الولايات المتحدة الأمريكية، والجمعية اللغوية الأمريكية، والمجمع العلمي العربي في دمشق.

ولكل هذا تعبير عن تكريم العلماء في أوروبا الشرقية والولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي لبروكلمان الذي أسهم في أكثر من ميدان بدراسات علمية على مستوى العالم، وبعد كفاح علمي طويل نال بروكلمان في دولته من التقدير أرفع درجاته ومن التكريم أسمى صوره، فمنحته جمهورية ألمانيا

---

(٣) فوك، يوهان، كارل بركلمان، مقال ضمن كتاب المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجد، ١٩٧٨م، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ج١، ص١٥٣. البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبه، الطبعة العاشرة، ص٤٤٢. جمعة، عماد علي، المكتبة الإسلامية، سلسلة التراث العربي الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٥٤. شوقي، كارل، ص١٣. يحيى، معجم، ص٢٣٩.

الديمقراطية سنة ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥١م أرفع أوسمتها بأن قدمت له الجائزة الوطنية الألمانية، واحتفلت به في مؤتمر علمي عقد في العيد المئوي لميلاده.

المطلب الثاني: مؤلفاته: أما إنجازاته العلمية والأدبية فهي أكثر من أن تستوعب في مقال وجيز، ولذلك اعتبر أكبر باحث بالجامعات الأوروبية في النصف الأول من القرن العشرين في مجالات الدراسات السامية وتاريخ التراث العربي، حيث عاش حياة عامرة بالبحث والدراسة العلمية، وحياة علمية حافلة بالتأليف والتصنيف الأكاديمي، وظل يؤلف أكثر من ٦٦عاما، وبسبب تمتعه بالذاكرة القوية والممتازة والجلد والتوجيه العلمي والصفات الأخرى كما مر ذكرها أنجز في حياته وحيدا ما تنوء بإنجازه العصبة القوية، حتى بلغ عدد مؤلفاته (٥٥٥) مؤلفا ما بين تأليف وتحقيق وبحوث ومقالات وتقارير وغيرها، ومما يبعث على الدهشة أن مؤلفاته لم تكن في مجال علمي واحد أو في لغة واحدة بل تنوعت اهتماماته العلمية وبحوثه الفكرية في لغات عديدة، ومن هنا سأكتفي بذكر بعض مؤلفاته، والتعليق عليها إذ دعت الحاجة إليها، وهذه أبرز مؤلفاته:

١- علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري، ألفه كرسالة دكتوراه كما مر، وهو أول باكورته العلمية.

٢- تاريخ الأدب العربي: وهو كتابه الرئيسي والأهم، ويعد من المراجع الأساسية في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها، ولا غنى عنه لأي باحث في مجال المخطوطات والأعلام.

وقد استطاع كارل بروكلمان معتمدا على فهرس إلوارد[٤] أن يؤلف كتابه بين سنوات ١٨٩٨- ١٩٠٢م، ولقد اتسعت حدود الدراسات الاستشراقية في القرن العشرين سنة بعد سنة حتى اضطر بروكلمان إلى أن يعد ملحقا لكتابه في ثلاثة مجلدات صدرت بين سنة ١٩٣٧- ١٩٤٢م. وتناول بروكلمان في هذا الكتاب التراث العربي من فجر الإسلام إلى وقت صدور الكتاب ويشتمل على خمسة أجزاء، وظهر طبعه الأخير في حياته بين عامي ١٩٣٤- ١٩٤٨م.

لقد كان يسيطر على بروكلمان فكرة مفادها: أن تاريخ العلوم العربية الإسلامية لا يمكن أن يكتب إلا بعد أن يعد ثبت بأعمال المسلمين في مختلف العلوم، وأن هذا العمل أيضا ينبغي أن تسبقه دراسات لمسائل جزئية تستغرق قرنا كاملا على الأقل، ولذلك فإنه اكتفى في كتابه بسرد تراجم العلماء مع تعداد مؤلفاتهم التي لا تزال مخطوطاتها محفوظة في الكتاب المختلفة.

وعلى أية حال فإن الباحثين في الأدب العربي يعتمدون منذ مطلع القرن العشرين كتاب بروكلمان تاريخ الأدب العربي للاهتداء إلى مظان البحوث العربية المختلفة في كل فن من فنون

---

(٤) من أهم ما نشر في أواخر القرن التاسع عشر فهرس مكتبة برلين الذي ألفه "إلوارد" "E Ahlwwardt" في عشرة مجلدات بين سنة "١٨٨٧- ١٨٩٩م"، وينبغي أن يعد هذا الكتاب كما يقول فؤاد سزكين: "أول عمل علمي واسع المدى حاول مؤلفه أن يصنف مواده تصنيفا تاريخيا دقيقا"، وهو عبارة عن فهرسة للمخطوطات العربية في مكتبة برلين. جمعة، المكتبة الإسلامية، ص٥٥.

المعرفة، من الشعر إلى التاريخ والجغرافية، إلى التفسير والحديث إلى الفلسفة والفلك، فكتاب بروكلمان جريدة إحصاء لكل من كتب(٥).

٣- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وترجمة ودراسة.

٤- طبقات ابن سعد: دراسة وتحقيق ونقد الجزء الثامن.

٥- فهرست المخطوطات العربية والفارسية والقبطية والتركية والسريانية والحبشية المحفوظة في هامبورج.

٦- المعجم السرياني: لم يكتف بروكلمان في هذا المعجم بإيراد اللفظ السرياني ومقابله اللاتيني بل جعله معجماً تأصيلياً مقارناً، حيث إنه يذكر اللفظ السرياني مع المقابلات السامية الأخرى في العربية والعبرية وسائر اللغات السامية.

٧- الأساس في النحو المقارن للغات السامية: تناول المؤلف في القسم الأول اللغات السامية وتوزيعها الجغرافي والتاريخي في مقدمة علمية، ثم درس الأصوات في اللغات السامية دراسة مقارنة، ثم عقد لبناء الكلمة في اللغات السامية، أما القسم الثاني فقد تناول بناء الجملة في اللغات السامية، إذن يعد هذا كتاباً مهماً في علم اللغة المقارن من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية التركيبية.

٨- النحو السرياني: وهو كتاب ما يزال إلى يومنا أفضل ما ألف في بابه.

٩- دراسة في الآشورية.

١٠- نظرية أصوات الحلق في الآشورية.

١١- التاء نهاية للتأنيث في اللغات السامية.

١٢- حول الأصوات في اللغة العبرية.

١٣- اللغة السامية.

١٤- النحو العربي: ألفه عام ١٩٢٥م على أساس كتاب المستشرق سوسين.

١٥- بناء الجملة في اللغة الأجريتية، وهي لغة سامية اكتشفت سنة ١٩٩٢م، ومع هذا تحدث عنها علميا في هذا المقال.

١٦- الآداب الشرقية: اشترك في تأليفه مع المؤلفين الآخرين.

١٧- تاريخ الآداب المسيحية: اشترك في تأليفه مع المؤلفين الآخرين.

١٨- اللغات السامية وآدابها: تأليف مشترك أيضا.

١٩- عيون الأخبار: تحقيق.

٢٠- قواعد الصرف العبري، هو آخر كتاب ألفه في حالة مرضه وطبع بعد موته.

٢١- ديوان لغات الترك الذي ألفه محمود بن الحسين الكاشغري، قام بشرحه وتحقيقه ودراسته، طبع عام ١٩٢٨م.

٢٢- قواعد اللغة التركية الشرقية للغات الأدبية الإسلامية لأواسط آسيا.

---

(٥) جمعة، المكتبة الإسلامية، ص٥٥.

٢٣- تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لعبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي دراسة وتحقيق، ألفه كرسالة ونال بها شهادة دكتوراه التأهيل للتدريس.

كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية:

وما يعنينا من بين كل كتبه – التي تحتاج هي أيضا لإعادة دراسة وتحقيق وتمحيص – كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية، وقد أرخ فيه بإيجاز للشعوب الإسلامية من البعثة حتى سنة ١٩٣٩م، وشمل كل الدول الإسلامية حتى العصر الحديث، ووضع في آخر الكتاب دليلا زمنيا يضم حوالي ٤٠٠ تاريخا ميلاديا، وقدم لذلك بدراسة موجزة عن العرب قبل الإسلام. وقد دون بروكلمان هذا التاريخ تدوينًا موجزًا من زاوية استشراقية تغاير أحيانًا نظرة المؤرخين المسلمين، هذا إلى جانب الدس الخفي في كثير من الحقائق وتأويل بعض الأحداث بما لا يتفق مع الحق والواقع، كما أنه لم يفصل في الأحداث؛ لذلك لا يغني هذا المؤلف عن غيره من المصنفات ولا يستطيع الباحث أن يكتفي بما جاء فيه قط، وقد طبع الكتاب في مجلد كبير بترجمة نبيه أمين فارس. ومنير بعلبكي عدة مرات في خمسة أجزاء صغيرة، وفهرسان لخزانتي برسلاو وهامبورغ، يعرفان بمخطوطاتهما العربية.كانت الرابعة منها سنة "١٩٦٥م" ببيروت[٦].

المطلب الثالث: خطر الروايات الواهية على التاريخ الإسلامي:

لقد تعرض التاريخ الإسلامي لأكبر قدر من الغزو الفكري، وركز الأعداء على تشويه تاريخ الأمة الإسلامية، ذلك أن التاريخ – بالنسبة لأية أمة – هو مجال اعتزازها وموطن القدوة بها. فإذا كان تاريخ الأمة حافلاً بالأمجاد – كما هو واقع تاريخ المسلمين – فإنه بلا شك سيكون باعثاً لهم على النهوض والتمسك بالمبادئ والآداب والقيم التي جعلت الأجداد يحرزون هذا المجد والفخار، ويصلون إلى هذا المستوى الراقي في بناء الأمة والحضارة، ويبحثون عن السر الذي رفعهم إلى هذا المستوى، وأنه إيمانهم بالله وتمسكهم بدينهم وجهادهم في سبيل الله ومن ثم يسعون جاهدين لانتشال أنفسهم من الوضع المتردي الذي وصلوا إليه، وأمامهم الصورة الجلية. والقدوة الممتازة في شخص رسولنا ρ الذي أخرج الله به الأمة من الظلمات إلى النور، ومن الشرك والأهواء وتحكم الطواغيت إلى التوحيد والعدل والأمن والطمأنينة، ومن الفقر وضيق الحال والشتات إلى الغنى وسعة الدنيا والآخرة الاعتصام بحبل الله. وكذا أصحابه ψ الذين حملوا الراية وآزروه ونصروه، وأيضاً بقية الأجيال من السلف الصالح من العلماء والزعماء والقادة والمصلحين والدعاة إلى الحق، والنماذج الممتازة في التاريخ الصالحة للقدوة ليسوا أفراداً يمكن حصرهم، ولكنهم أجيال وأجيال، في مجالات الحياة كافة، العسكرية والسياسية والتربوية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وهذا لا يوجد في تاريخ أية أمة أخرى لما لهذه الأمة من خاصية الاستمساك بالمنهج الرباني، والتاريخ الإسلامي هو الذي يسجل هذه الصور السابقة ويوضح دور الأمة وأثرها وفضلها على البشرية، ولذلك لا نستغرب إذا ركز الأعداء في غزوهم الفكري على التاريخ الإسلامي حتى ناله كثير من التشويه والتحريف والتجهيل والتزييف والتفسير الخاطئ لأحداثه ومزاحمته بتواريخ

---

(٦) يوهان، كارل، ١٦٠. الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عشر ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص٢٧٩. جمعة، المكتبة الإسلامية، ص٥٤. البهي، الفكر الإسلامي، ص ٤٤٢.

الأمم الجاهلية حتى يبدو حلقة صغيرة أو كماً مهملاً في تاريخ البشرية، ولقد قام على تشويه التاريخ الإسلامي في العصر الحديث جيش بل جيوش من الاستشراق والتنصير ودوائر البحث ومكاتب المخابرات في الدول الغربية، واستطاعوا أن يجندوا مجموعة من ضعاف النفوس والمغرورين والجهلة وضحايا الغزو الفكري في العالم الإسلامي لمساعدتهم ونشر أفكارهم بين المسلمين[٧].

وسنذكر فيما يلي أبرز المستشرقين الذين لعبوا دورا تخريبيا لتشويه التاريخ الإسلامي، من خلال اختلاق الروايات الواهية، لإنجاح مخططه التخريبي في " تشويه صورة الحياة الإسلامية، وعقيدة المسلمين وسيرة رسولهم، ρ حتى ينفّروا أبناء جلدتهم من (الدين الإسلامي، ويصورون المسلمين بأنهم وحوش وسفاكو دماء وأنهم يعيشون حياة تخلف وهمجية، ويضعون قصصاً وحكايات تؤيد ما يقولون، كما أنهم يسعون إلى تسقط الأخطاء وجمع المثالب وإبرازها على أنها الصورة المعبرة عن تاريخ المسلمين، وهذه الوسيلة كانت غالبة على الكتابات الأولى للمستشرقين الذين كتبوا عن الدين الإسلامي وعلومه وسيرة النبي ρ وتاريخ المسلمين، سواء كانت مؤلفات أو مقالات في المجلات التي أنشأها المستشرقون في مختلفي الدول الأوربية (هولندا – روسيا – ألمانيا – بريطانيا – فرنسا – الولايات المتحدة الأمريكية – إيطاليا) أو في دوائر المعارف العامة. وقد قل استخدام هذه الوسيلة في الكتابات المؤخرة لا إنصافاً للحقيقة؛ وإنما تغييراً في الخطة لأن الوسيلة الأولى لم تعد صالحة ولا مقبولة حتى في المجتمعات الغربية. ومَن اطلع على كتب القوم وما تكتبه المجلات الصادرة عنهم ودوائر المعارف يجد ذلك واضحاً[٨]. ولقد كتب بروكلمان تاريخنا منطلقاً من التشكيك، والرفض العشوائي، معتمداً على الروايات الواهية الشاذة، والتي رفضها النقاد الباحثون، واستغربها العلماء، بل وأشاروا إلى نشوزها، لكن بروكلمان –كغيره من المستشرقين– بنى فكره و رأيه مسبقاً في نفسه، ثم جاء إلى وقائع التاريخ العربي الإسلامي يطوعها لما يؤيد فكرته وخطته المرسومة، يطمس، ويضعف، فقدم تاريخنا، موسعاً الجزئية، متغاضياً عن الكلية، مع تفسيرات عجيبة، وأقوال ينبو عنها الذوق السليم[٩].

وهذا مثل واحد من أخف الأمثلة (كارل بروكلمان) – المستشرق الألماني الذي يعتبر حجة عندهم بل عند بعض الباحثين المسلمين، ويعتبرونه من المعتدلين وقد يبالغ البعض فيعتبره من المنصفين في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية[١٠]، بل يصف مراد كتابه " بالموضوعية والعمق والشمول والجدة، مما جعله مرجعا للمصنفين في التاريخ
الإسلامي"[١١].

---

(٧) السلمي، وسائل الغزو، ص٦٤.

(٨) نفس المرجع.

(٩) أبو خليل، شوقي، كارل بروكلمان في الميزان، ١٩٨٧م، دار الفكر المعاصر ، بيروت –لبنان–، دار الفكر، دمشق –سورية–، ص١١.

(١٠) السلمي، وسائل الغزو، ص٦٤.

(١١) مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، منشور الكترونيا عبر موقع:
http://kotobarabia.eastview.com/Library/documentinfo.aspx?ref=4574 ص٢٤٠.

وحتى حسين مؤنس[١٢] في مقالته " كارل بروكلمان: مستشرق أسدى للفكر أجل الخدمات" يقول عن كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية –وهو موضوعنا– بأن " هذا الكتاب ينطق بتقدير بروكلمان للعرب ومشاركته إياهم في كفاحهم للحرية والكرامة والرخاء"

" ولكن إذا قرأت في هذا الكتاب رأيت العجب العجاب ورأيت ... التشويه، بل رأيت الجهل الثقيل ورأيت الكذب الصريح"[١٣]، عكس ما يذكره الكتاب المخدوعين بفكر بروكلمان.

المبحث الثاني

الروايات الواهية عند بروكلمان

المطلب الأول: روايته الواهية حول الأنصار رضي الله عنهم:

يذكر بروكلمان بأن الأنصار ψ كانوا " يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية المتمثلة في المهاجرين، ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين كرة أخرى"[١٤].

لقد تناسى بروكلمان أخوة العقيدة التي كانت تربط بين المهاجرين والأنصار، وسمت بهم فوق كل شهوات الدنيا، وفوق مفهوم السيادة في الوطن، وهناك العديد من الروايات الصحيحة التي تؤكد ذلك، فقد كانت المؤاخاة التي قام بها الرسول ρ " من أروع ما يأثره التاريخ"[١٥]، " آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله Y : (**وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ**) [الأنفال: ٧٥] رد التوارث، دون عقد الأخوة. وقد قيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ... والثبت الأول، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار[١٦]. ومعنى هذا الإخاء– كما قال محمد الغزالي السقا– " أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه"[١٧].

وقد جعل الرسول ρ هذه الأخوة عقداً نافذاً، لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال[١٨].

---

(١٢) مجلة العربي، عدد ١٣٩، ص ٣٧.

(١٣) السلمي السلمي، وسائل الغزو، ص٦٤. أبو خليل، كارل، ص٧.

(١٤) بروكلمان، تاريخ، ص٨٣.

(١٥) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الهلال – بيروت–، ص١٦٧.

(١٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٣، ص٥٣، ٥٦.

(١٧) السقا، محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ، ص١٩٠.

(١٨) السقا، فقه السيرة، ص١٩٠. كذلك: البوطي، محّمد سَعيد رَمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر – دمشق–، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦هـ، ص١٤٩.

فقد روى البخاري أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله ρ بين عبد الرحمن وسعد ابن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي. نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبي ρ " مهيم؟ " قال: تزوجت. قال: " كم سقت إليها ؟ " قال: نواة من ذهب(١٩).

وروي عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار للنبي ρ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «لا» . فقالوا: فتكفونا المؤنة، ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا(٢٠).

يقول المباركفوري(٢١) معلقاً: وهذا يدلنا على ما كان عليه الأنصار من الحفاوة البالغة بإخوانهم المهاجرين، ومن التضحية والإيثار والود والصفاء، وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم حق قدره، فلم يستغلوه ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم".

ويقول أحمد غلوش(٢٢): " ولقد برز خلق الأنصار العظيم، وهم يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم وقد تجردوا من شح النفس، وملئوا قلوبهم بحب الله ورسوله، فكانوا قدوة مثالية في عالم الإيثار الرائع، والإنسانية النبيلة حتى إنهم قبلوا أخوة جعفر بن أبي طالب لمعاذ بن جبل رغم اغتراب جعفر وجعلوا له حق المشاركة والعطاء والولاء ".

---

(١٩) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ρ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، = = ج٣، ص٥٣. حديث رقم: ٢٠٤٨، وج٥، ص٣١، حديث رقم: ٣٧٨٠. الطحاوي، أحمد بن محمد المصري، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م، ج١٥، ص٢٧٧، حديث رقم: ٦٠١٣. المسند، الشاشي، الهيثم بن كليب ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ج١، ص٢٧٦، حديث رقم: ٢٤٥. الميورقي، محمد بن فتوح الأزدي الحَمِيدي ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي البواب، دار ابن حزم / بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ج١، ص١٧٧، حديث رقم: ١٦٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، جامع المسانيد والسُّنَن ، تحقيق: عبد الملك الدهيش، دار خضر بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م، حديث رقم: ٦٩٩١ . خليل، محمود محمد، المسند الجامع، دار الجيل ، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١٢، ص٣٣٥، حديث رقم: ٩٥٤٩.

(٢٠) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٤. حديث رقم: ٢٣٢٥، وج٣، ص١٩٠، حديث رقم: ٢٧١٩. البخاري، الأدب المفرد بالتعليقات، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ص٢٨٩. حديث رقم: ٥٦١. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، السنن الكبرى للنسائي، ج١٠، ص٣٧٣، حديث رقم: ١١٧٤٩. الميورقي، الجمع بين الصحيحين، ج٣، ص٢٥٠، حديث رقم: ٢٥٤٧. خليل، المسند الجامع، ج١٨، ص٢٤٠، حديث رقم: ١٤٩١٨.

(٢١) الرحيق المختوم، ص١٦٨.

(٢٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص١١٢.

ويقول محمد أبو شُهبة[٢٣]: " إن المتأمل فيما قام الأنصار ψ تجاه النبي ρ وإخوانه المهاجرين ليتعجب مما فعله هؤلاء القوم، ولو ذهب يتلمّس الأسباب، فلن يجد إلا سبب الأسباب، وهو أن ذلك كان بفضل الله ورحمته لا بصنع بشر وحكمته وسياسته، وصدق الله حيث يقول: **(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)** [سورة الأنفال: ٦٣]

فلم يلتق النبي ρ بالأنصار إلا في سويعات تحت جنح الليل، واكتفى فيها بعرض الإسلام، وأخذ العهود والمواثيق، ولم يطل لقاؤه معهم قبل الهجرة حتى يكون هذا الذي فعلوه، [...] ولم يكن بين دخولهم في الإسلام وقيامهم بهذه المآثر إلا أقل من عام!!

ولم يكن شعورهم تجاه إخوانهم المهاجرين بأقل من هذا، فقد فتحوا لهم قلوبهم قبل أن يفتحوا لهم بيوتهم، ووسعوهم بصدورهم قبل أن يسعوهم بأموالهم، وتسابقوا إلى لقائهم وإكرامهم حتى لم يجدوا بداً في بعض الأحيان من تحكيم القرعة بينهم، وضربوا في باب الإيثار، وسخاء النفس، وكرم الطبع مثلاً عليا لا تزال تذكرها لهم الأجيال المتعاقبة بالإكبار والإعظام ". فأين كلام بروكلمان من هذه الروايات الصحيحة، وتلك المواقف الرائعة.

فالرواية كما هو واضح لنا واهية وضعيفة، ولا تستند لأي مصدر، وليس هناك ما يدل على أن الأنصار كانوا ينقمون على المهاجرين، ويتوقون للتحرر منهم ليعودوا سادة في وطنهم المدينة المنورة، التي هاجر إليها أهل مكة ليزاحموهم وطنهم.

المطلب الثاني: روايته الواهية حول خالد بن الوليد τ : يذكر بروكلمان بأن خالد بن الوليد τ قتل المرتد مالك بن نويرة وجميع أتباعه، طمعا بزوجة مالك الجميلة[٢٤].

وهذه الرواية لم تثبت صحتها أو نسبتها لخالد بن الوليد، ومن منا لا يعرف خالد، الذي استحق من فوق سبع سموات لقب سيف الله المسلول ممن لا ينطق عن الهوى ρ [٢٥].

(٢٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم – دمشق، الطبعة الثامنة – ١٤٢٧هـ، ج٢، ص٥٣.

(٢٤) بروكلمان، تاريخ، ص٨٦. والرواية في اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج٢، ص١٣١. والأصبهاني، علي بن الحسين، الأغاني، دار الفكر – بيروت، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، ج١٥، ص٢٩٠.

(٢٥) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ج٦، ص٤٤. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ج٧، ص٢٧٧. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ج٧، ص٤١٢. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ج٣٧، ص٢٤٦، ٢٥٨. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، فضائل الصحابة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص١٨. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن

كيف لرجل مثل خالد أن يقدم على مثل هذا الفعل الذي لا يليق بمسلم عادي، فكيف لو كان هذا المسلم هو: خالد بن الوليد[٢٦]، الذي لا يحتاج لشهادة نصراني ومبشر حاقد مثل بروكلمان.

ولقد اعتمد كارل بروكلمان في تهمته لخالد على رواية واهية وردت في مصدرين من مصادر التاريخ والأدب، الأول هو: تاريخ اليعقوبي[٢٧]، والثاني: كتاب الأغاني للأصبهاني[٢٨]، وكلاهما يميل

بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج١٥، ص٥٢٣. ابن مَنْدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي، فتح الباب في الكنى والألقاب، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر – السعودية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ص٣٨٣. الكاندهلوي، محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل، حياة الصحابة، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: الدكتور بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعةالأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ج١، ص٢٥٤.

(٢٦) ينظر حول مناقب خالد وفضائله: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ج٣، ص١٣٦. النسائي، فضائل، ص٥٣. ابن منده، معرفة الصحابة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، حققه وقدم له وعلق عليه: عامر حسن صبري، = = مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٤٥٢. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ج٢، ص٩٢٥. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ج١٦، ص٢١٦. النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ج١، ص١٧٣. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ج٣، ص٢٢٣. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، ج١٣، ص١٦٠. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ، ج٢، ص٢١٥.

(٢٧) اليَعْقُوبي (٠٠٠ – بعد ٢٩٢ هـ / ٠٠٠ – بعد ٩٠٥م):

أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. كان جده من موالي المنصور العباسي. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتبا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي – ط) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب (البلدان – ط) و (أخبار الأمم السالفة) صغير، و(مشاكلة = = الناس لزمانهم – ط)) رسالة. واختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ياقوت: سنة ٢٨٤ ونقل غيره ٢٨٢ وقيل ٢٧٨ أو بعدها، ورجحت أخيرا رواية ناشر الطبعة الثانية من التاريخ إذ وجد في كتاب البلدان (الصفحة ١٣١ طبعة النجف) أبياتا لليعقوبي نظمها ليلة عيد الفطر سنة ٢٩٢هـ، ولم يترجم له أحد غير ياقوت، في معجم الأدباء، ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، ج٢، ص٥٥٧. كذلك: الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م، ج١، ص٩٥.

مؤلفاهما إلى التشيع، وقد عملا على تشويه الحقبة التاريخية التي حكم فيها كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

يقول مصطفى الشكعه(٢٩) عن كتاب الأغاني للأصبهاني: " في الكتاب الكثير مما ينبو عن الذوق، وتنفر منه النفس السوية، وتتقزز منه السليقة المستقيمة، فهو مليء بالقصص المستهجنة، والحكايات الخليعة والأشعار البذيئة والاصطلاحات الساقطة، وإكثار من ذكر العورات وتعريتها في إلحاح وإلحاف يبدوان وكأنهما مقصودان، ولكنها تجيء بنت المناسبة وفرض السياق، وأما الأصبهاني فكأنما كانت القبائح الكثيرة الوفيرة التي ذكرها هدفًا من أهداف الكتاب، بل أغلب الظن أنها كذلك، ولو أنه يسر على نفسه ولم يسرف على القراء بالإلحاف في ذكر ما ذكر من إباحية ومخاز، لما نقص الكتاب شيئًا بل إنه كان زاد قدرًا وسما منزلة، ولا حاجة بنا إلى أن نشير إلى أن احتواء هذا الكتاب على الساقط من القصص والخليع من الأخبار ينال منه عند ذكره نيلًا شديدًا ". فكيف لك يا بروكلمان أن تأخذ روايتك من مثل هذا المؤلف وكتابه السقيم.

---

(٢٨) أبو الفرج الأَصْبَهاني (٢٨٤ – ٣٥٦ هـ/ ٨٩٧ – ٩٦٧م):

علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: أديب له معرفة في التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي. ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. قال عنه الذهبي: " رأيت شيخنا ابن تيمية يضعّفه ويتّهمه في نقله ويستهول ما يأتي به" وقال عنه: " وكان يُورِد الطّامّات من الحكايات المُنْكَرة " الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ج٢٦، ص١٤٤، ١٤٥. الطبري وغيره: " لم يعرف أموى يتشيع سواه". ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)، دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٨٧هـ، ج١١، ٤١٥. كذلك: البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، تاريخ بغدادن تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ج١٣، ص٣٣٧. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٧، ص٢٧٢. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م، ج٤، ص٢٢١. وقال ابن الجوزي: " ومثله لا يوثق بروايته، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب «الأغاني» رأى كل قبيح ومنكر". ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ج١٤، ١٨٥. كذلك: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج١١، ٢٩٨.

(٢٩) مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة آب/ أغسطس ٢٠٠٤م، ص٢٦٨.

وقد كثرت الروايات في هذا الأمر حتى صارت لغطاً ليس للعقل فيه مجال، وتدخل الدساسون من خلال هذا اللغط، ليضعوا في سيرة خالد ما يشينه ويحط من قدره، ونقلها الرواة المسلمون من غير تدبر ولا تفكير[٣٠].

فتهمة خالد بقتل مالك بن نويرة ونزوته على امرأته، قد كثر فيها اللغط وتشعبت فيها الآراء، واختلفت وتعددت الروايات، وإن اختلاف الروايات وتعددها في هذه القضية من أهم الأسباب في ضعفها وجعلها واهية، ولو استعرضنا بعض الروايات التي قيلت في موقف خالد من مالك، لوجدنا أن لكل رواية ما يدحضها ويظهر زيفها.

والحقيقة أن سوء الفهم أو الالتباس اللغوي، في رواية سيف التي رواها الطبري[٣١]، إذ عندما وصل خالد إلى البطاح بث سراياه، وأمرهم بداعية الإسلام على أن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوا تنفيذًا لوصية أبي بكر، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة مع نفر من أصحابه من بني يربوع، فاختلف أفراد السرية فيهم، فشهدت فئة منهم بأنهم أذنوا، وأقاموا وصلوا وأقروا بالزكاة، كان من بينهم أبو قتادة الأنصاري، في حين شهدت فئة أخرى بأنهم استمروا على ردتهم، فلما وقع الاختلاف، أمر خالد بسجنهم حتى الصباح ليحكم في الأمر، وكانت ليلة باردة، تزداد بردًا كلما مضى شطر من الليل، فأخذت خالد الشفقة عليهم، فأمر مناديًا "أدفئوا أسراكم"، وكان معنى العبارة في لغة كنانة القتل، ولما كان الحرس من هؤلاء قتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكًا، وسمع خالد الضجة، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: "إذا أراد الله أمرًا أصابه"[٣٢].

هذه هي صياغة المشهد التي يبدو عليها علائم الاختلاف، وذلك أن المرء لا يستطيع في مخيم عسكري أن يدبر مجزرة لا يلاحظها القائد إلا بعد انتهائها، ولكن هذا هو هدف القصة، فهل تعمد خالد إصدار الأمر الذي يساء فهمه، ثم راح ينتظر حتى تحققت النتيجة المرجوة، وهي قتل مالك بن نويرة، والتزوج بامرأته أم تميم ابنة المنهال؟ كيف صح من قائد المسلمين أن يخاطب الحراس بلغة يعلم أنها ليست لغتهم، فيما يقصد إليه من معنى وهدف؟ وإن كان لا يعلم فلماذا لم يعتذر بهذا العذر عند الخليفة عندما عاتبه؟ الواضح أن هذه القصة لا تذكر سببًا معقولًا، ومقبولًا لقتل مالك بن نويرة، على الرغم من أنها تستشهد بأقوال فئة من أفراد السرية بأنه عاد من ردته، ونصح قومه بالاقتداء به[٣٣].

---

(٣٠) رضا، محمد، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، دار الكتاب العربي، طبعة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ص٤٣.

(٣١) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ص٢٧٧- ٢٧٩.

(٣٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ص٢٧٨. ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي أبو محمد، الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج١، ص٢٠. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ج١٩، ص٨٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٣.

(٣٣) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٧٥.

وإذا تأملنا في صيغة الأمر من الوجهة اللغوية، كان معناها الأساسي الدفء، أما المعنى الجانبي الذي هو القتل، فلا تسجله معاجم اللغة إلا على الهامش، وبناء على هذا نجد الصياغة في لسان العرب، دفف على الجريح أجهز عليه، وكذلك دافه مدافة، ودفافًا
ودافاه وهي لغة لجهينة، معناها القتل(٣٤).

وتجري رواية استجواب خالد لمالك بن نويرة للوقوف على أي الشهادتين حق، الشهادة بإسلامه، أم الشهادة بإصراره على الرده ومنع الزكاة، فعندما جاءت به السرية حاوره خالد في موقفه من الإسلام، فقال مالك: "أتقتلني وأنا مسلم أصلي إلى القبلة؟ فقال خالد: لو كنت مسلمًا لما منعت الزكاة، ولا أمرت قومك بمنعها، والله ما نلت ما في مثابتك حتى أقتلك"، وفي رواية أنه قال: "أنا آتي الصلاة دون الزكاة(٣٥)، فقال له خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معًا، لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ فقال مالك: قد كان صاحبكم يقول ذلك، قال خالد: أوما تراه لك صاحبًا؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجادلا في الكلام، فقال خالد: إني قاتلك، فقال له: أو بذلك أمرك صاحبك؟ قال خالد: هذه بعد تلك، وكان عبد الله بن عمر، وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلما خالدًا في أمره، فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر، فيكون هو الذي يحكم فينا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك، وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه"(٣٦).

" قد تكون هذه الرواية أقرب إلى القبول؛ لأنها تذكر سبب ردة مالك بن نويرة، ومن اتبعه من قومه، وهي امتناعه عن دفع الزكاة لأبي بكر، كما أن كلامه بحق النبي لا يصدر عن شخص مخلص في إسلامه، ألا يرى مالك أن النبي سد له وصاحب؟ ومع ذلك فقد تضمن الاستجواب إشارتين إلى إسلام مالك، وهما القول بأنه على استعداد لإقامة الصلاة، وقوله لخالد: "أتقتلني وأنا مسلم أصلي إلى القبلة" غير أنه رفض دفع الزكاة، وهنا يوصف بأنه مرتد معاند، وأن تصريحاته الاستفزازية لم تدع مجالًا لخيار آخر سوى القتل، ومن هنا أيضًا استقى خالد حجته عليه بعد أن كشف نواياه التي لا تخرج من قلب سليم الإيمان، ومع ذلك فإن خالدًا لم يتسرع في إصدار الحكم عليه، وجادله عليه يتمكن من

---

(٣٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٩ ص١٠٤- ١٠٦.

(٣٥) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني أبو عبد الله، الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١٠٨. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٢٠.

(٣٦) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ج٦، ص١٤. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى، ج١، ص١٥٨. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج١، ص١٣٥. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ج٢، ص٩٠.

إقناعه بالعودة عن ردته، إلا أنه أصر على موقفه، فلم يبق في نفس خالد بعد ذلك موضع للشك في ردته، فعقد العزم على قتله، ورفض أن يرسله إلى أبي بكر كما أرسل غيره، أمثال قرة بن هبيرة والفجاءة السلمي وغيرهما، ولم يكن مالك بأقل قدراً منهم، إلا أنه كان أعظم إثمًا، ومن المستبعد أن يكون أصدقاء خالد اختلقوا حديثًا متقن الحبكة يضع عنه الوزر؛ لأن مالكًا إذا كان مطلعًا على الإسلام هذا الاطلاع الحسن، والذي يمكنه من مناقشة خالد في دقائقه، فمعنى ذلك أنه كان مسلمًا، والراجح أنه لم يكن مسلما وقت قتله على الأقل"[٣٧].

المطلب الثالث: هزيمة الروم في موقعة اليرموك ١٥هـ/٦٣٦م:

يجزم بروكلمان بأن هزيمة الروم في معركة اليرموك كانت بسبب عدم رغبة الأرمن في القتال، فقد كانوا يحقدون على الدولة البيزنطية، التي كانوا يشكلون نصف جيشها[٣٨].

كيف لمؤرخ كبير -كما يدعون- مثل بروكلمان، أن يبرر انتصار المسلمين على البيزنطيين، في معركة حاسمة هي اليرموك، بوجود الأرمن في جيش الروم البيزنطيين، وهم حاقدون وناقمون على دولة الروم.

وإذا افترضنا صحة الرواية التي يوردها بروكلمان-وهي كما سنبين واهية- فهل يغيب على قائد عسكري وإمبراطور دولة عظيمة كهرقل، ومن حوله كبار قادة الروم أن يلاقوا جيش المسلمين بجيش نصفه من الأرمن، وهم يعلمون حقيقة موقفهم من الروم.

والحقيقة هي عكس ما ذكره بروكلمان تماماً، فموقف الأرمن كان موقفاً مؤيداً وناصراً للروم، بل أن هرقل قد " عقد لواء مرصعاً بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب، وعليه صليب من الياقوت الأحمر وسلمه إلى ماهان ملك الأرمن وكان يحبه محبة عظيمة لأنه كان من أهل الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مراراً فلما عقد له لواء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالقلائد التي لا يتقلد بها إلا الملوك الأكابر وقال له: يا ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين وهم ملوك الجيش اعلموا أن صلبانكم تحت صليب ماهان وأمركم إليه فلا تصنعوا أمراً إلا بمشورته ورأيه"[٣٩].

هذه رواية الواقدي حول مشاركة الأرمن في موقعة اليرموك، تظهر فيها مدى المحبة والثقة التي أولاها هرقل لماهان، فهل كان هرقل مغفلا لهذه الدرجة ليسلم جيشه لعدو ليقاتل عدو آخر؟

---

(٣٧) البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص١٠٣. البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ج١٠،ص٤٦٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٤. كذلك: طقوش، تاريخ، ص ٧٥.

(٣٨) بروكلمان، تاريخ، ص٩٥.

(٣٩) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ج١، ص١٥٠.

ولقد أبلى هؤلاء الأرمن بقيادة ماهان عكس ما يذكر بروكلمان من الحقد على الروم، وخاضوا أياماً عصيبة في اليرموك " وأشدها يوم التعوير، وهو اليوم الذي أمر فيه ماهان مائة ألف رام من الأرمن أن يرموا فيه كلهم عن قوس واحدة، فرموا فغارت من المسلمين سبعمائة عين "(٤٠)، فكيف يفعل ذلك الأرمن بجيش المسلمين وهم يحقدون على الروم.

وهناك حقيقة أخرى غابت عن بروكلمان، وهي أن جيش الروم من المحتمل أنه لم يتشكل نصفه من الأرمن، فمن غير المعقول أن يكون جيشاً نصفه من الأرمن وقد كان يضم " ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف، [...] وضم إليه الأرمن والنجد والنوبة والروسية والصقالبة والإفرنج والهرقلية والقياصرة والير والدوقس"(٤١). والرواية السابقة لم توضح كـــون الأرمن هم نصف الجيش، بل أنهم كانوا ضمن وحدات الجيش المؤلف من
جنسيات متعددة.

لماذا لا يعترف بروكلمان ومن سار في دربه بأن هناك عوامل عديدة كانت السبب في انتصار المسلمين؟ والتي لم يجد منها بروكلمان غير ذلك السبب الواهي(٤٢).

المطلب الرابع: بناء قبة الصخرة:

ذكر بروكلمان بأن هدف عبد الملك بن مروان من بناء قبة الصخرة هو: " أن يحول إليها أفواج الحجاج من مكة والتي استقر بها منافسه ابن الزبير"(٤٣).

وقبل تفنيد هذه الرواية، والحكم عليها، لا بد لنا من الحكم على باني قبة الصخرة، وهو عبد الملك بن مروان، ذلك الرجل الذي قال عنه نافع " أدركت بالمدينة وما بها شاب أنسك ولا أشد تشميراً ولا أكثر صلاة ولا أطلب للعلم من عبد الملك بن مروان"(٤٤)، الذي أثر عنه قوله: " لأن أخطئ وقد استشرت، أحب إلي من أن أصيب وقد استبددت"(٤٥). وهو القائل: " والله وددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنيمات في جبالها، ولم أكن ألي من هذا الأمر شيئا"(٤٦)، و" لمّا احتضر وكان في قصره

---

(٤٠) الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص ٦١٨. وينظر: الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٠٧. ابن أعثم ، الفتوح، ج١، ص٢٠٦.

(٤١) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص١٩٠.

(٤٢) باز، عبد الكريم علي، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، الناشر: تهامة، جدة/ المملكة العربية السعودي، ١٩٨٣م، ص٩٥.وحول الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين في اليرموك ينظر: الوكيل، محمد السيد، موقعة اليرموك دراسة وتحليل، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة عشر – العدد التاسع والأربعين – محرم – صفر – ربيع الأول ١٤٠١هـ، ص١٨٥. طقوش: تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٨.

(٤٣) بروكلمان، تاريخ، ص٢٨٦.

(٤٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص١١٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٧٦.

(٤٥) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٠٨.

(٤٦) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص٣٤٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ٥٣٤.

مشرفاً على الناس. فنظر فرأى بعض الغسالين يغسل الثياب فقال: ليتني كنت مثل هذا الغسال أكتسب قوتي يوم بيوم ولم أكن وليت الخلافة"(٤٧).

قال ابن الأثير: "كان عبد الملك عاقلاً، حازماً، أديباً، لبيباً، عالماً، وقال الشعبي: ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك، فإني ما ذاكرته حديثا إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه"(٤٨).

وكان عبد الملك أول من صلى ما بين الظهر والعصر(٤٩)، وكان يحرص على تلقى العلم، و تعليم أهل بيته فكان " يُرْسِلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ فَتَبِيتُ عِنْدَ نِسَائِهِ، وَيَسَائِلُهَا عَنِ النَّبِيِّ ρ "(٥٠).

ويعده أهل الأثر من أفقه أهل المدينة، قال أبو الزياد: كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان"(٥١).

هذا هو عبد الملك، هل من الممكن لمثل هذا الرجل أن يفعل مثل هذا الفعل الشنيع الذي يمكن أن يخرجه من الملة فيمنع الناس من أداء ركن من أركان الإسلام، ويفعل مثل فعل أبرهة الكافر(٥٢)، لمجرد عدم رغبته في لقاء أهل الشام بابن الزبير الخارج عن الطاعة بمكة حتى لا يبايعوه، وهو يعلم علم اليقين حرمة ما يفعله وهو العالم الفقيه.

أما الدليل على وهن هذه الرواية وضعفها فمن عدة أوجه، أما الوجه الأول فهو أن عبد الملك بن مروان قد ابتدأ ببناء قبة الصخرة سنة ٦٦هـ، ولم تكن فتنة ابن الزبير قد بدأت، وإنما كانت سنة

---

(٤٧) الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي أبو البقاء كمال الدين الشافعي، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٥٥٠. اليوسي، الحسن بن مسعود بن = = محمد، أبو علي نور الدين، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ج٢، ص١٣٧.

(٤٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ٥٣٣، ٥٣٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٧٦.

(٤٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٧٦.

(٥٠) الكَشّي، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ج١، ص ١٩٦.

(٥١) أبو، زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري الدمشقي، تاريخ أبي زرعة الدمشقي رواية: أبي الميمون بن راشد، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني (أصل الكتاب رسالة ماجستير بكلية الآداب – بغداد)، مجمع اللغة العربية – دمشق، ص٤٠٥. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الأندلسي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع = = الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، ج٣، ص١٠٦٧. الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ، طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م، ص٦٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص١٢٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ٥٣٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص٤٢٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٧٦.

(٥٢) باز، افتراءات، ص٧٧.

٧٢هـ وانتهت بمقتله سنة ٧٣هـ(٥٣)، و قد استغل ابن الزبير مشروع بناء عبد الملك للقبة؛ ليتخذ من هذا الأمر دعاية يحرض فيها المسلمين على عبد الملك، لذا نجد أن عبد الملك قد كتب فِي جَمِيع الأعمال وَالِي سَائِر الأمصار يوضح لهم السبب الحقيقي لبناء قبة الصخرة(٥٤)، ويبدو أن كراهية اليعقوبي الشيعي لبني أمية قد جعله يتبنى دعاية ابن الزبير لنشرها بين المسلمين وقام بتوثيقها في كتابه ليقرأها الناس جيل بعد جيل، ويستغلها المستشرقون للطعن في تاريخ الإسلام.

والوجه الثاني لجعل الرواية ضعيفة هو أن عبد الملك قد انتهى من بناء القبة في سنة ٧٣هـ وهي نفس السنة التي انتهت فيها فتنة ابن الزبير، يقول العليمي(٥٥)" وَكَانَ الْفَرَاغ من عمَارَة قبَّة الصَّخْرَة والْمَسْجِد الْأَقْصَى فِي سنة ثَلَاث وَسبعين من الهجرة الشَّرِيفَة وَهِي السّنة الَّتِي قتل فِيهَا عبد الله بن الزبير"، فالسبب في منع المسلمين من الحج كما تذكر رواية اليعقوبي التي يسوق لها بروكلمان – وهو وجود ابن الزبير في مكة– قد زال مع انتهاء عبد الملك من بناء القبة، فكيف يستقيم يأمر عبد الملك المسلمين بالحج إلي قبة الصخرة، وليس هناك من سبب يمنعهم من الحج إلي المسجد الحرام بمكة، وقد قتل ابن الزبير، مع أن رواية اليعقوبي كما ينقل بروكلمان تذكر بأن سبب بناء القبة هو " منع عبد الملك أهل الشأم من الحج وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة [...] فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة "(٥٦).

والوجه الثالث لجعل الرواية اليعقوبية – التي اعتمدها بروكلمان– واهية هو أن السبب الحقيقي لبناء قبة الصخرة قد ذكره لنا العليمي(٥٧) مؤرخ القدس فقال: " إن عبد الْملك قد أَرَادَ أَن يَبْنِي قبَّة على صَخْرَة بَيت الْمُقَدّس تَقِيّ الْمُسلمين من الْحر وَالْبرد وَأَن يَبْنِي الْمَسْجِد، وَكره أَن يفعل ذَلِك دون رَأْي رَعيته فلتكتب الرّعية إِلَيْهِ برأيهم وَمَا هم عَلَيْهِ فو ردت الْكتب عَلَيْهِ من سَائِر عُمَّال الْأَمْصَار نر رَأْي أَمِير الْمُؤمنِينَ مُوَافقاً رشيداً إِن شَاءَ الله يتم لَهُ نوى من بِنَاء بَيته وصخرته ومسجده وَيجْرِي ذَلِك على يَدَيْهِ ويجعله تذكرة لَهُ لمن مضى من سلفه"

وهذا القول يقطع دابر كل من يتهم عبد الملك بتلك التهمة الباطلة، والتي تهدف لتشويه تاريخ المسلمين من خلال تشويه صورة القادة والعظماء من أمتنا.

والوجه الرابع هو أنه: كيف يمنع عبد الملك الناس من الحج، وقد ذكر اليعقوبي – صاحب الرواية الواهية– أن الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو الذي أرسله عبد الملك لقتال الزبير، قد " أقام الحج

---

(٥٣) انظر الخبر بتمامه في تاريخ الطبري: ٦/ ١٧٤– ١٧٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الخامسة، ج٢، ص٩٣.

(٥٤) العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي أبو اليمن مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس – عمان، ج١، ص٢٧٥. كذلك: اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص٢٦٧.

(٥٥) الأنس الجليل، ج١، ص ٢٧٥.

(٥٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص٢٦١.

(٥٧) الأنس الجليل، ج١، ص٢٧٢.

للناس في ولايته سنة ٧٢، و٧٣، و٧٤هـ "[٥٨]. كما قام عبد الملك بنفسه بقيادة وفد حجاج الشام سنة ٧٥هـ[٥٩]، وحتى عام ٧٩هـ[٦٠].

والمعروف أن ابن الزبير كان لا يزال مسيطراً على مكة سنة ٧٢ و٧٣هـ، ومعتصم فيها، وقد قتل كما أسلفنا في نهاية سنة ٧٣هـ تقريبا، فكيف يحج الناس تلك السنوات وقد منعهم عبد الملك – كما يدعي بروكلمان–، والأكثر من ذلك أن الذي منعهم قد قادهم بنفسه ليحج معهم سنة ٧٥هـ، فهلا ظل هو والناس يطوفون حول قبة الصخرة ووفروا على أنفسهم عناء السفر والترحال.

وكيف يمنع الناس من الحج ليحجوا إلي كعبته –الصخرة– والروايات تذكر أنه " لمّا وفدت عائشة بنت طلحة على عبد الملك بن مروان، وأرادت الحجّ، حملها وأحشامها على ستّين بغلا من بغال الملوك"[٦١].

والوجه الآخر لفساد قول بروكلمان هو أن الفعل السابق مستبعد كل البعد عن عبد الملك العالم الفقيه، ولم يرد ذكره في أي من المصادر التاريخية الموثوقة والصحيحة، مثل الطبري، وابن الأثير، وابن خلدون، والذهبي، وابن الجوزي، والخطيب البغدادي، والسيوطي، وأبو الفداء، وابن الوردي، وغيرهم، أما ابن كثير فقد نقل الشق الأول من الرواية، ولكنه أردفها بقول " الله أعلم"، فهو يبدو أنه قد نقل الرواية مشككاً في صحتها، غير متأكد من حقيقتها، وأنا هنا أعتب كل العتب على ابن كثير وهو المؤرخ الثقة، كيف ينقل مثل هذه الرواية المعيبة عن خليفة مسلم معروف بعدالته، وكتابه للأسف من أكثر الكتب المتبادلة بين أيدي الناس.

ولو كان كلام بروكلمان صحيحًا، لما سكت علماء الأمة من ذلك الوقت وإلى يومنا هذا على ذلك، لأن منع الناس من الحج لبيت الله وإنشاء مكان آخر للحج فيه يعد كفرًا – كما ذكرنا–، لا يقبل التهاون معه والمجاملة فيه[٦٢].

والحقيقة أن بناء عبد الملك لقبة الصخرة، كان ضمن مشاريع النهضة الحضارية التي قامت في عهده، فقد قامت في عهده حركة عمرانية، شملت بناء قبة الصخرة، والشروع في تجديد بناء المسجد الأقصى، ولم يكن المسجد الحرام بمنأى عن هذه الحركة العمرانية، فقد أمر عبد الملك بن مروان عام

---

(٥٨) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص٢٨١. كذلك: ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٢٤، وقد أضاف أنه " في سنة اثنتين وسبعين أقام الحج الحجاج بن يوسف بمن معه فأقاموا بمني؟ فات ولم يدخلوا مكة ولم يطوفوا بالبيت وابن الزبير بمكة" وهذا يدل على حرص شديد على أداء المناسك، فلماذا لم يحجوا إلى قبة الصخرة؟

(٥٩) ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري، تاريخ خليفة، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ، ٢٧٣. : ابن حبيب، المحبر، ص٢٤. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص٢٨١. تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢ / ١١٨).

(٦٠) ابن حبيب، المحبر، ص٢٥.

(٦١) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي أبو عثمان، البغال، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ ، ص ٣١.

(٦٢) الصغير، فالح بن محمد بن فالح، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ٥٦.

٧٥هـ–٦٩٤م بعمارة المسجد الحرام، وأعاد بناءه[٦٣]، و"رفع جداره وسقفه بالساج المزخرف وعمره عمارة حسنة"[٦٤]، بعد أن "حمل إليه السواري في البحر إلى جدة، واحتملت من جدة على العجل"[٦٥].

وحمل " إلى الكعبة شمستين وقدحين من قوارير وألبس الاسطوانة الوسطى بصفائح الذهب"[٦٦]، " خمسين مثقالا من ذهب، في رأس كل أسطوانة"[٦٧]، كما أمر بِكِسْوَتها[٦٨].

وكان واليه خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ مِصْبَاحَ زَمْزَمَ، يُضِيءُ لِأَهْلِ الطَّوَافِ مُقَابِلَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ[٦٩].

كما أضيفت في عهده حجرات نساء النبي ρ للمسجد النبوي، وكانت تسعا[٧٠].

ولقد كان عبد الملك يحافظ على أن تؤدى مناسك الحج صحيحة، ولا يخالف فيها الشرع[٧١].

---

(٦٣) عبد الجبار، عبد الله، و خفاجي، محمد عبد المنعم، قصة الأدب في الحجاز، مكتبة الكليات الأزهرية، ص٤٤.

(٦٤) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٩١. الفاسي، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج١، ص٢٩٧. ابن الضياء، محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي بهاء الدين أبو البقاء، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ج١، ص١٥١. العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٢٧٨. الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر - بيروت، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١، ص١٢٣.ابن برهان الدين الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٢٧هـ، ج١، ص٢١. الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر - بيروت، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١، ص١٢٣.

(٦٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٢٩٨.

(٦٦) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، الجماهر في معرفة الجواهر، ص٢٩.

(٦٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٢٩٨. ابن الضياء، تاريخ مكة، ج١، ض١٥٢.

(٦٨) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (١ / ٤٢٢):

(٦٩) الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي، أخبار مكة، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ج٢، ص٦٧. الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٠٠. ابن الضياء، تاريخ مكة، ج١، ص١٢٣.

(٧٠) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، دار الفكر العربي - القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥هـ، ج١، ص٤٧٢.

(٧١) مالك، الموطأ، ج٣، ص٥٨٥. البخاري، صحيح، ج٢، ص١٦٢. النسائي، سنن، ج٥، ص٢٥٢. الماوردي، أبو السن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م، ج٤، ص١٧٢. أحكام القرآن الكريم .

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي ، استانبول، الطبعة الأولى، المجلد ١: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، المجلد ٢: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، ج٢، ص١٣٢.

وعليه فإن عبد الملك كان مهتما بشئون الحج كركن من أركان الإسلام، وحريص على العناية بالمسجد الحرام، ولم تأخذ قبة الصخرة منه كل ذلك الاهتمام لدرجة أن يجعلها محجا للناس.

ودل اهتمام عبد الملك بالمسجد الحرام وقبة الصخرة والمسجد الأقصى على تدينه وعنايته بالأماكن المقدسة عند المسلمين على حد سواء.

الخاتمة

هذا غيض من فيض مما أورده بروكلمان من روايات واهية ضعيفة ليلصقها في تاريخ المسلمين، بهدف الطعن في عزهم وشرفهم، والإضعاف من عزيمة أجيالهم، فيبرز مثالبهم، ويخفي محاسنهم، وليت هذه المثالب حقيقية، فهي مصطنعة واهية، وموضوعة، اختلقها بروكلمان ظانا منه – وقد خاب ظنه– أن أحدا من المسلمين لن يلتفت لما قد دسه من سم، مع أن كثير منهم قد خدعهم بروكلمان بسمه فظنوه عسلا.

وقد بينا بعض من تلك الروايات الواهية التي دسها بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، ورددنا عليها من خلال الرجوع إلى الروايات الصحيحة، وحتى لا نطيل فقد اقتصرنا على إبراز نماذج من تلك الروايات الواهية للتاريخ الإسلامي التي أدخلها بروكلمان، وليس معنى ذلك أن هذه هي الروايات الواهية عند بروكلمان، – فكتابه إن لم أكن مبالغا مليئا بالدس والطعن والتشنيع على الإسلام والمسلمين– وتاريخهم، والرد على تلك الروايات يحتاج إلي صفحات مضاعفة، وجهد مضني، وإنما اخترت بعض من روايات التاريخ التي اجتهد بعض العلماء في الرد على ما فيها من أباطيل، ولكن للأسف فإن كثير من الردود لم تكن علمية، وكان بعضها عاطفيا لا يرتكز على مصدر، بل أن بعض تلك الردود خاطئا، لم يحل إشكالا بل غير حقيقة، كذلك الذي رد تهمة بناء عبد الملك لقبة الصخرة بالقول أن عبد الملك بن مروان لم يقم أصلا ببنائها، وإنما الذي بنى القبة هو الوليد ابنه، وهذا مخالف للحقيقة، فكيف تغير حقيقة تاريخية لتدفع شبهة؟ وقد اجتهدنا في بيان الرد الصحيح على ذلك بعد توفيق الله Y ، ونحن لا نقلل من شأن تلك الردود، فكلها اجتهادات تحسب لأصحابها، لكن العدو الكافر لا يحتاج في ردعه إلى رد التهم بالتهم، بل يردعه الرد بالحجة والبرهان والإقناع العلمي الرصين، فلا مجال عنده للعاطفة، أو السباب، فهذا مما يضعف موقف المجادل .

وقد توصلنا إلى عدد من النتائج، والتي منها:

١– يعد بروكلمان من أهم المستشرقين الذين اهتموا بدراسة التاريخ الإسلامي بهدف تشويهه، ودس الروايات الواهية فيه.

٢– تبين من خلال دراسة بعض الروايات التي تناولها بروكلمان، أن تلك الروايات واهية وضعيفة، لا تستقيم أمام المنهج العلمي الصحيح.

٣– التحذير من روايات المستشرقين التي تناولوا فيها التاريخ الإسلامي.